

نيلوفر

رواية

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
2021/9/5426

رحال ، اسلام أمين

نيلوفر/ اسلام أمين رحال ،-عمان: المؤلف ، 2021

() ص .

ر.أ : 2021/9/5426 .

الواصفات : /الروايات العربية//الأدب العربي//العصر الحديث/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه
ولا يعتبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي
جهة حكومية أخرى

نيلوفر

رواية

نيلوفر

كالبدر نورك في الأفق ينير
كنجم في السماء بات ينضوي
كلّ الكون في جمالك يحير
وكلّ الكواكب من مدارك ترتوي

إهداء

إلى من أهتمني لأكل مسيري بعد سقوطي، إضاءتي بعد انطفائي، إلى
سندي التي احتوتني بعد كل الحطام الذي كان يغمر داخلي وامتلكت
الفؤاد، من أهتمني لكتابة هذه الحروف فأخطها،

لمن أحييت فيّ روح طفلٍ فأسكنت في ثناياي سلاماً.

فراشتي التي استوطنت بروحي.. أحبك....

إليك أماني.. أيا روحاً سكنت روحي فأحييتها، وسلاماً لطلالما كان يملكني.
إليك يا من أحببت وباتت لي الكون وما حوى. أحببك..

وإلى من استندت عليها طوال عمري وأقامت خطاي وأعدت في ميلاني
وتمايلي.

وإلى نصفي الآخر وذات روحي، أختي الكبرى ...

رسالة

حين أحببتك شعرتُ أنني أحببت لأول مرة في عمري
أيقنت أنّ كل ما كان قبلك لم يكن سوى مجرد أرقام عابرة. أنت البداية
ومعك ستكون البقية والنهاية..

أحببتك كما لم أحب شيئاً من قبل، تعلّقت بك كطفل لا يرى في الكون
غير والدته.

ما زلتُ أحبك، ولم أكف عن التفكير بك ولن أتمكن من ذلك.
ما زلتُ أربغبك وأبتغيك حباً، ففرقاً وعشقاً، موتاً وحياءً، ليس أمدأ بل
سرمداً،

إكتفاءً جنوناً فؤاداً أسيراً بك ومسكوناً. أحبك....

وسأتي إليك أعدك.

المقدمة..

فَقَدْ فَقَدَ فَأَقْدُ فَقَدُهُ

وَمَا زَالَ يَفْقِدُهُ وَيَفْقِدُهُ وَفَأَقْدُهُ

قد لا تكون بيتك الرواية التي ستنتشر ويتهافت القراء لاقتنائها والتمتع بسطورها ولكنها ستكون كافية لي لأعلن نصري على ذاتي.

حين نويث كتابة هذا الكتاب لم أفكر بمساره ومجراه والأسلوب الذي ستترب بها حروفه وسطوره، كل ما كنت أفكر فيه أنني أريد أن أخطّ روايتنا وأحاول وصفك ببعض الكلمات فيها.

أعلم أنني ولو كتبت ألف بيتٍ ودبوانٍ شعريّ فيك ما كفاك ولم يفيك حقك من الوصف.

لم أرتب أحداثٍ وتواريخ الرواية كاملةً بل تركتها متقاربةً ومتفرقةً بجزئها الثاني فقط وهو الأهم بدءًا بالخامس عشر من آب، حاولت كتابة ما بداخلي بكلّ بعثته واختلاطه فقط.

أردتُ كتابتها علّ رسائلي تصل إليك وتكسّر حاجز المسافة والشوق.

ليتني بقربك الآن لأنعم بالسّلام وأوقف الحرب التي بداخلي..

الحادي والعشرون من آذار

وفي ظلمةٍ أخرجتني منها ظلمتي
أُحْيِي مَيِّتًا لِتَحْيِيهِ فِي مَمَاتِ!
أَفْقَدْتُ شَاعِرًا لَدَّةَ الشَّعْرِ قَتَلْتَنِي
أَهْمَتَنِي أَلْمَا وَالْأَلْمُ فِي كُلِّ بَيْتِ آتِ..

كيف، لماذا ومتى ...!

أعتقد أنها أسئلةٌ ظالمةٌ في حق الحب.. ألا يكون طرحها تشكيكاً في مصداقيته؟

بالرغم من أننا قد نُخطئ بتقدير العلاقات أحياناً بسبب فجوةٍ بداخلنا نعتقد أن حضور شخصٍ ما بشكلٍ مفاجئ سينتشلنا من ألمنا فيكون هو ذلك الحب الحقيقي المنشود، العامر الذي لا يفنى طالما كانت الروح حية. في بادئ الأمر، كان كل شيء قد بدأ ببضعة حروف قد تبادلها مع إحدا الفتيات،

كانا كأبي عابراً سبيل فتبادلا التحية، باستثناء أنها كانت عابرة به وفيه حين رأى تناسق الكلمات فيما بينهما.

كان كطفلٍ، صغيرٍ، ضعيفٍ، تائهٍ يركض لأي حزنٍ يراه لجوءاً وهرباً من عالمه الموحش، جُذِبَ لحروفها ذات مرةٍ وما كانت تكتب حتى اقترب منها ليسألها:

- حدثيني عن الكتابة وما تعنيه لك ...؟

لطالما كان هذا السؤال مقياسه ليبدأ بمعرفة الطرف الآخر والإبحار في عالمه وفهمه أكثر.

يهدأ للحظات يخاف أن تتجاهله فلا تعيره اهتمامًا، يملئه القلق فهو يشعر بأن هنالك خطأ ما والذي لم يكثر له وإنما كان ينشغل في تفكيره بتصوّر الأحداث التي ستجري بعد ذلك ويرتسم مشهدًا تمثيليًا في مخيلته وصوّر الأحداث والمكان والزمان والشخصيات وهو ما زال بانتظار الإجابة فقط.

ظلّ غارقاً في أفكاره حتى أجابته فاستفاق ذهنه الغارق في خياله والمشهد الذي كان مُنسجماً في إخراجهِ وتمثيله،
كان جوابها بسيطاً جداً رغم الثورة التي قد قام بإشعالها في داخله....

- حسناً كيان سأخبرك بالتفصيل..

حسناً...!

يحدث نفسه كأنه في نقاش مع شخصٍ آخر وليس ذاته:

لقد أجابني، لربما ليس بشأنٍ عظيمٍ بالنسبة لكِ أو لغيرك.. ولكنه من أعظم الأمور التي انتظرت حدوثها.

شهق ، وأخذ نفساً عميقاً وداخله يصرخ فرحاً: لقد أجابتي..
وابتساماً عريضة ارتسمت على شفتيه.
يشعرُ كما لو أنه امتلك جزءاً عظيماً من الدنيا.
أعتقد أن الحياة بدأت تبسّم لي أخيراً.
كلّ ذلك والأمر ما زال يقفُّ عند سؤالٍ واحدٍ ولا علاقة تربطها ببعضها
البعض بعد.

مُسْتَعِدٌّ لكلِّ حرفٍ من أبجديتك سينتشلني من نفسي، ما زلتُ بوعي
ولم أجن بك، لا شيء مميّز حتى الآن
وها قد بدأت بقراءة ما ارتسمت في وصف الكتابة وبعض التفاصيل التي
غرقت فيها وأمعن النظر في الكلمات، كان حرفك جنوني بالنسبة لي ...
أو حتى لربّما بالغت في ذلك، لا بل كان كلاماً عادياً لم يميّز بشيء عن أي
قول آخر ولم يترك أثراً فيّ فقد تشكّل من ثلاثة وعشرين سطرًا، جمعت
بها مئتان وثمانين عشرة كلمة وحرف جر، بُنيت بِـ ألفٍ وثلاثة وسبعين
حرفٍ فقط، ما المميز بذلك ...!
لقد جُننت بك وعُلبت، عشقت حرفك بكل تفاصيله.

قرأت ما قمتِ بكتابته عشرات المرات وفي كلِّ مرّة أُجدني غارقاً فيك أكثر
من السابق، لم أرى بِجمالِ حرفك من قبل.

لا ارجب بالاكشفاء منك بعد كلِّ هذا، لا أرى فيك غير السلام ...

ما لي أهذي ...؟

في ذهني.. كنتُ أقف محاطاً بالتركام.. ركامٌ تكون لسنين طويلة، في داخلي
مدينة أريدت بالكامل في وسط روعي

لطالما سرّث في متاهاتها بحثاً عن طريقٍ للنجاة أو لرؤية بصيصٍ من الأمل
لربما شعلة تنير داخلي من جديد.

ولكنني هذه المرة ظللتُ واقفاً وبينما تلهفني أنسامٌ من الذكريات ويتطاير
بعض الرماد الذي من حولي ليخفتني من جديد

كنتُ صامداً هذه مرة، لم أحاول الهرب أو الاختباء كل ما فعلته أنني
استمررت بالتفكير بك والانعزال بطيف حروفك وأفكاري التي تتحدث
عني فقط، أفكاري التي لطالما أضلت طريقها، نسيت الحطام الذي من
حولها هذه المرة بينما هي غارقة فيك.

أشعرُ أنها أضلّت طرقها من جديد، وها هو ذا يتعلق بها ويرتسم أحلامه
معها منذ أوّل بضعة كلمات، ما زال طفلاً تائهاً يبحث عن أي ملجئ

يؤويه.

مرّت عدة ليالٍ لم يعد لم يحدثها، كان محتاجاً لفترة من الزمن لاستيعاب ما
قد جرى به.

أستكون هذه هي بداية السلام الذي سيُحييه من جديد.

إصابته في حربته السابقة التي ظلّت تُعيقه لعدّة سنين والجرح الذي لم
يتوقف عن النزيف حتى كواه في برودٍ وباللأ مبالاة التي قد قتلت جزءاً
كبيراً كان حيّاً في داخله قد ضمّي به لينجو من الموت.

يستلقي ويبقى ساكناً غارقاً في عالمه يخاطب روحه ونفسه.

لم يعد للجرح أثر، لقد زال ولم أعد أراه كما كنت أفعل لأغرق في دوامةٍ
من الماضي فتأسرني لثقل علي حتى تفيض عيناى دمعاً على حال روحي،
لم أعد أذكر شيئاً مما مضى، أشعر كما لو أنّي قد وُلدت من جديد وما
مضى من عمري لم يكن سوى مجرد أرقام تُعد فقط.

هل أنا الآن أعيد الكرة أم أنّها ستكون حقاً سلاماً لي وعلي!.

التاسع عشر من نيسان..

فِعْشَقًا سَرْمَدًا كَانَ مَوْعِدَنَا
جَنَّ الْفُؤَادِ فِيكَ، وَلَا أَعَاتِبُهُ ...

غاب فترةً طويلةً بعض الشيء لسوء حالته الصحيّة والنفسية، لم يرغب بالبقاء فيؤذي من حوله.

كان عليه الابتعاد ليبتقى وحيداً، والآن ها قد عاد ويحملُ شوقاً لا تكفيه آلاف السنين من الحديث والعناق.

حين عاد كانت الشّخص الوحيد الذي يبتغي محادثته فيرتوي منه بجرعة حياةٍ تسدّ ظمأه ليحبي بها..

يسترسلُ لها:

- كيف حالك..؟ اشتاقت روعي لأبجديتك فاعزفي لها بعضاً منها..

بدأت بالاطمئنان عليه وبادلتته السؤال عن حاله وصحّته وخير الأمانى منها إليه، ومن ثمّ اعتذرت له والأمر أن حرفها مجهد والنفس منهكة، شعرَ بالمرّ يلتحف روحه خوفاً عليها، وخيبةً لمناله.

مرّت سنين طويلة على آخر مرّة كان فيها قلبه يتراقص فرحاً بهذا الشكل كلما اقترب منها، أيّ من أنواع السحر هذا ...!

عاد لمحاورة روحه، ذاته، ونفسه.. أقرب صديقٍ له وأكبر عدو، أوفى مُعاهدٍ وأحقر خائن ...

أعلم أنني بالنسبة لك ما زلت مجرد عابر سبيل لا مكان لي في داخلك ولم تفكري بي كما فعلت، لم تُجني بي كما جُننت،

وكان صوتٌ في داخلي يخبرني بأنك ستفعلين، لا أعلم ما أصابني هذه المرة، اعتدت الرجوع إلى ربي لأستخيره بكلّ الأمور، وذلك ما فعلتُ في شأن قلبي معك.

استخرت ودعوت الله فيك فما أسكن بروحي غير السلام في أمرك، ولكن اللقاء والحديث بين الذكر والأنثى بحدّ ذاته خطأ فكيف يكون ذلك سلاماً في داخلي...!

رجعت إلى الله فحُضتُ أن تكون نفسي قد تسرّعت بالحكم فعدتُ بشأنٍ عظيمٍ من السلام يسكن داخلي.

سَلِمْتُ واستسلمت للأمر رغم اضطراب داخلي لخطيئةٍ فيه. لربما فهمتُ جواب الاستخارة بشكلٍ خاطئ، لربّما كان جواباً من نفسي الأمانة بالسوء وتجاهلاً لحقيقة الاستخارة والجواب..!

عاد إليها، ويقتربُ أكثر فأكثر ليهمس لها بحرفٍ مُرهفٍ ومترفٍ:

قلمٌ بقلمٍ...؟

لطالما كانت وسيلته المعتادة ليتواصل مع طرفه الآخر بتبادل الحروف
ويرتسمان معاً أبياتاً يعزفانها بتناغم.
ينتظرها مطولاً راجياً ألا يُخذل هذه المرة، حتى أجابته:

حسناً.

-بدئي بعزف حروفك، ودعي كلماتك تراقص روجي...

ومن هنا بدأ كلاهما بعزف سمفونية عظيمة المقام فباحث هي الأخرى بادئة:

ها قد جاء الصبح
لِتهيم الحروف وتطربُ سامعيها
تصدح بالنغم تحوم بروايبها
تسيرُ نحو الشروق تزيغ بدجى أراضيها
يا نوراً لاح كالنجوم بالنظر
أعمى السواد أستنار وبهر

بارى الأشواق باح وشعر
تغنى بالصباية جرح الرابطة أنزف الوتر
في ميعادٍ دق عقارب اللقيما على قارعة السطر ...

يهداً أمام حروفها، يخشى ألا يجارها، يأخذ نفساً عميقاً لتتناثر حروفه من
تلقاء نفسها وتتالى الأبيات لتمتجح بينها وتعزف لحن الحياة:

-أيا نوراً لكلّ مبصرٍ قد بصر
وبصراً لفاقدِ البصر
أيا مشاعراً.. القلب بها قد شعر
فألف في عينيك قصائد وشعر
قدرٌ أصاب روجي وخير قدر
وقُدرةٌ قدّرت على قُدرة القلب وما به كان وما قدر..

- أيا بدرأ عائق سماء الشعر

حزّ الكواكب والنجوم حالها خطر
أدمى المدارات في ليالي السهر
هام توفاً كما الندى لبتلات الزهر
توغل بالعمق لحناً يناجي نوات القدر

- أيا عمراً عامراً في عمري وقد عمر
أيا زماناً أزهر والعمر فيك قد زهر
أيا تاريخاً خطّ بي زماني
وغيرٍ دهريّ دهرأ على روعي قد ظهر...

- أيا من زار صباحاً عقب لياح الفجر
يدق أبواب الأبدية
يدعوا اللقاء بالشعر
يبث بالروح أطيب الآمال
وأمنيات العطر
يسفك الحبر في حدائق الأحلام

يبددُ صغْب الضجر

- أيا أجمل الأمور وخير أمرٍ
أيا أميرةً وأمرهً رُوحِي بكلِّ أمرٍ وأمره
أيا حلوةً مُرِّي وعمري وأمري
أيا مرّ مرّي أيا خيرَ مرٍّ مرّ رُوحِي ومرّه
ألف مرّةً بكلِّ مرّةٍ ومرّةً بكلِّ مرّةٍ...

- أيا من همهم طيفه

كما الفراشات
على ملامح الزهر ..
حار ظلّه بظلي
كلّما هام الشعر ..
أيا من توه التيه
مني وتاه التيه
كما السحر ..

هدهد اللقيا
خان الدروب
وقطع تذكارُ السفر ...

يستسلمُ ويرفع راية حروفه البيضاء ... لم يتمكن من خطِّ بيتٍ آخر، يشعر
بأنه مختلفٌ عن ذاته تمامًا، هل ما يفعله صحيح أم أنه سينتهي بحطام مركبه
على حافة الشاطئ من جديد؟

- أيا حلّ الأبجدية إذ خطّها قلمك.. لروحي رغبة بمداعبة حروفك لآخر
عمرها ولكن علي الاعتذار في هذه اللحظة لأعود لاحقاً..

- فأهلاً بك كلما أراد حرفك أن يحضّر

وإلى اللقاء ولا داعٍ لِغُذر ...

بدأت تخور قواه فتخونه من جديد، لا يعلم مصابه ونتيجة الحرب التي
أدخل روحه فيها، لا قدرة له بالسيطرة على نفسه والاستمرار، لقد أُنهك
كثيراً..

الأول من حزيران

فالقلمي ما شئت حبا ولقمي

وقلمي قلم الفؤاد ولقمية

لاقتني في الخيال ولقني

وثقلي كياني فألقيه ...

مضى وقتٌ طويلٌ على لقاء أرواحنا ... أو لربّما كان كذلك في حساب
القلب فقط.

شعرت أنني أقترّب من النصر شيئاً فشيئاً، في الحقيقة لا أعلم ما إذا كان
نصراً حقيقياً أم أنّه مجرد فوزٍ صغيرٍ قبل الصّباح!
لم أكن بمثل ما أنا عليه اليوم من قبل.

لربّما كان أمراً غريباً لمن اعتاد على الشعور بالموت فَرَدَّ للحياة بعد كلّ ذلك
الزّمان.

جُنّنت بك، أعد الساعات والدقائق والثواني وأجزاءها بينما أكون في
انتظارك فتمتلئ روحي بلهفة طفلٍ لحضن والدته.
ها قد عدتِ..

بدأت عيناى تتلاّأ عشقاً وتراقص الروح فرحاً للقبالك. وبدأت حروفي
تتسَطَّر في داخلي فتتسابق أيّها يبدأ في مخاطبتك ويُخطِّ لك، شهقت
وسكّت للحظاتٍ فبُحت:

حللت أهلاً على الروح.

ووطئت سهلاً مزهراً بالروح.

طمئني روجي عنك أيا ذات الروح ونفسها!

-بخير حال، وأنت؟

بخير ما دمت بخير ...

-الخير منك وإليك.

وإن الفؤاد قد فاض منك ومصيره الرجوع إليك.

وعادت حروفي بلهفة تستجمع ذاتها لتبوح سائلة:

ماذا تفعلين...؟

- كنت أحاول النوم.

شعرت بداخلي يكتب لعلمه بقصر الحديث بيننا.

نومًا هنيئًا..

لم تزدني بعد ذلك، فعلمت أن النعاس قد غلبك فسرقك مني.
كتب لك، طمئيني عنك حين تقبلين وذهبت حاملًا حروفي التي تجمعت
في سطور طويلة بقيت مكانها صامته.

بدأت دواخلي تتصارع وتناقش فيما بينها، ماذا لو لم أكن شيئًا لك ولا
وجود لي بداخلك؟

هل تبادليني ما أرتسمه في فؤادي حبًا لعينيك أم أنتي وحيدٌ به في هذه
القصة؟

بقيت مستلقياً أخطب حروفي وأحادث الكون عنك مضت ساعات حتى
أرهق السهر جسدي لأنام معانقاً هاتفي وبوحي بداخلي لك ما زال
حييساً..

أستفيق صباحًا مشتاقاً لرسائلك رغم خوفي من عدم العثور على شيء..
حتى استرقني رسالتك:

طمئن فؤادي عنك حين تُقبل.. فلك بفؤادي شوقٌ عالقٌ وكلماتٌ تأبى أن
تبوح بالشعور منذ ألف عام..

حاولت الصمود أمام حروفك عظيمة الشأن في داخلي، من المفترض ألا
أكون ضعيفاً أمام كل شطرٍ تكتبينه،

استرسلت إليك، عانتي حروفي وذريها تُقبل روحك.
وبقيت منتظراً أن تقبلي عليّ فأحيي من جديد حتى رددت:

حروفي تعانق روحك بشغف الضياء
أنتِ شغفي وفقدانك كل استياء

أنتِ شغفي وحضورك يسلب كل الأضواء
وما عاد لروحي ضوءٌ سواك، كيف كان يومك...؟

مزدحمًا بعض الشيء وأنت ...؟
فارغاً حتى حضرتِ فازدم داخلي بألف حرفٍ وحرف. عقلي مُكتمظ بكلّ
فكرةٍ تحمل طيفك في داخله.

طيفك يأخذني من عوالم الفارغة يدثرنني بين أضلعك بكلّ شغفٍ وثناء.

هنيئًا لأضلعي..

-وهنيئًا لي بك ...

تُكمل الليلة وتبادل أطراف الحديث فيما بيننا بهدوء وأعدّ الساعات التي
تمضي وتحمل ألف موضع صامت، جزءٌ يريد البوح بالمزيد والآخر يقتله
الخوف ويستعين بالحذر والتماسك حتى لا تفيض الكلمات وتخرج عن
السيطرة.

الخامس من تموز

لم يكن أمراً عادياً، أو لربّما كان مُنتظراً من جزئه الآخر..
بذاتِ السرعة التي تعلق فيها بها قد رحلت عنه، لا قدرة له على استيعاب
ما قد جرى.

أن تقرر الرّحيل فقط وأن تخبره بأن كلّ ما كان بينهما كان عابراً ومجّرد رغبة
قاما بملئها معاً! لم تكن كذلك بالنسبة له أبداً، ولكن يبدو أنّه كان كذلك
بالنسبة لها.

لقد كان نصفه الآخر على صواب في شعوره وحذره كان من المفترض أن
يُنصت إليه.

يشعر بسحابة سوداء تحيط بداخله، يختنق وتعجز حروفه عن البوح
لظلمة اعتاد الصمت ويترك ذوي الانفجار في داخله فقط.

الانفجارات التي لظلمة حاول نسيانها وقام بالاكتماء بالبرود الذي ملأ
روحه ليتفادها ويتخلّص من الذكريات والأطيف التي تستمرّ بالمرور في
ذاكرته.

بدأ ينهار شيئاً فشيئاً، تهيم دموعه وتفيض ألماً وتضيق أنفاسه، لا يريد أن
يصدق ولا أن يتقبّل ما جرى بل كلّ ما يرغب به هو الاختفاء
والتلاشي، يريد الرّحيل عن هذا العالم الذي يقتهل به باستمرار، يحتاج لفترة
يهرب بها ويختبئ حتى من ذاته.

يختبئ عن كلِّ مَنْ حواه وكلِّ ما يحرق بداخله، يريد الانعزال فقط.
تخور قواه ويسقط جريماً على جانب الطريق، ينزف حروفاً أثقلت داخله
وكلِّ ما فيه يصرخ الماء.

لا بأس لم تكن أول موته له سيتخطاها ويمر بكلِّ مر

مضى أسبوعان على رحيلها، وبدأ بتقبّل كلّ شيءٍ وبذات الوقت يستمر
بالبحث عنها ويرجوا أن تعود إليه، لم يكن الألم بسبب رحيلها فقط، فقد
اعتاد على ذهاب الجميع من حوله وبقائه وحيداً، بل ما كان يقتله أنّ ذات
الروح التي أحيتها من جديد وكان يشكوا لها ويهرب من العالم إليها هي
ذات الروح التي قتلته.

ذات اليد التي أمسكت به قامت بدفعه ليسقط بالهاوية.

فلم يكن السقوط ما آلمه بل من قام بإسقاطه.

يجلس مع ذاته ويحاورها ألف مرّة فيخاطبها:

سأعود لترميم داخلي من جديد ولملمة حطامي، أيقنت أنّك لن تعودي ولو
عدتِ لن أعود أنا.

بدأت أكره لقائنا وكلّ لحظة جمعت بيننا وطيفك الذي ما زال يمرّني ويحمل
ألف بيتٍ شعرٍ تبادلناه من الذكريات.

لقد خُنتِ الكثير، عهدونا والوعود التي تبادلناها وقطعناها معاً، لقد كنتِ
لي وطناً ولكنك خنتِ شعبك.

لم تكن تلك الفترة علي هيئة، الصمت يحيط بي ويمتلكني، كثيرون من هم حولي ولا أحد بداخلي سواي أسرح في نفسي وأحدها.

بدأ يمحو صورها والرسائل التي جمعت بينها ورغبةً تملؤه بمحوها كلها من داخله، كيف يمحوها بهذه السهولة؟
بدأ بكتابة كتابٍ عنها ويحمل عنوانًا باسمها، ليلكي..

- حين تحدثنا وأخبرتكَ ذات يومٍ أنني سأبدأ بكتابتته عنكٍ ويحكى قصتنا شعرتِ بالصدمة والذهول شعرتُ أنكِ لن تصدقيني وظننتِ أنه لن يكون حقيقةً ولو كان كذلك سينتهي، واليوم بعد مرور أكثر من عامٍ على رحيلك عُدت لاستكمال هذه الحروف والسطور، وهذه الرواية التي بدأتها بحروفٍ تصفك جلالاً وتوسطتها حروفٌ تصف داخلي حطاماً وخاتمتها ستكون مجرد صمتٍ لربّما لو أكملتها حتى.

رغبت بمحو كل حروفي عنكٍ والتوقف عن ذاك الكتاب ولكن هنالك الكثير من الأسباب التي دفعتني لأكمل سطورهُ، قررتُ إكمالها بكلّ ما أوتيت من قوّة ولو لم تكن قصّةً مُكتملةً قد تكونُ جزءاً في كتابٍ آخر فتكون مجرد قصّة عابرة تحملُ ذِكرَكَ فقط.

مر وقتٌ طويل على رحيلها لا أنكر أنّ طيفها ما زال يمرّني بين الحين
والآخر ولكنّ المشاعر قد اختلفت، بدأت تتلاشى من داخلي وعاد طيفها
عابراً يلقي التحية فأبادله ويرحل.

لربّما كنت مخطئاً بالتمسك والسير خلف العلاقة، من المفترض أن نترك
الأمور في البداية فلا نتمسك بها فلو تمسكت بنا امتلكتها وكانت حقيقة.
بدأت أشعر بأنني كنتُ مبالغاً بالتعلق بها، وكل ما أفكر به الآن هو البقاء
وحيداً لن أخوض في علاقةٍ أخرى فأكتفي بذاتي فقط، بدأت ببناء كل
شيءٍ من جديد، عملي الخاص وحروفي التي عادت لترتسم وتتلون بذاتي.
ها أنا ذا كيانٌ وحيد مجدداً استتمتُ وعدتُ بقوتي أكثفُ بعالمي وانعزالي
به فقط.

الخامس عشر من آب

عماني الهوى

وجنون الحبّ في بعيد الأرض ارتماني

أسير الجوى

وأسير طيفك قد بت يا أماني

كيانٌ وحيد يسير على حافة الطريق يحتضن ذاته وما تبقي منه، يلملمُ
شئاته وأشلائه التي تناثرت على جوانب الطرقات التي كان يمرّ بها
ويتخبّط داخله بجدرانها.

يخاطب أطياناً تمزّه تبادلها أطراف الحديث توجّهه وأخرى تسند روحه التي
تترجّح مرهقةً لتسقط باكيةً.

عيونٌ تتلأأ مُدمعةً تصارع قطراتٍ يحاول حبسها حتى لا تفيض.

يشعر برعبٍ وضعفٍ يملأ داخله، فيرى أحلاماً ارتسمها وصلت علوّ
السماء تنساقط شهباً وتحترق بأعماقه.

وأن يختلف شعوره بين ليلته وضحاها من أملٍ بالموت لنيل الراحة
والخلاص من ألمه إلى حالمٍ بعمرٍ مديدٍ مع من تلاقت بروحه والسعادة
تغمره بعد كلّ ما ألمّ به.

لم يكن بالشيء الهين ولا البسيط أبداً، لقد حيى بها فأقامته بعد سقوطه
فبات حطام روحه عامراً وأرضه المحترقة أزهرت تحت خطاها.

لم يكونا سوى عابرين تبادلنا التحية والسلام فسلاماً احتواهما وخيرٌ كلام،
فكانت خير ما رأى في الأنام وما يلام فؤاده إذ رآها فكان من بعد حطام
بوئام.

هي تلك الفتاة المدللة في عائلة جميلة تحتضن ثلاثة أبناء وثمان بناتٍ وهي
الأقرب لوالديها.

لم تشغل بالها يوماً في قصص الحب من قبل ولم تؤمن به، حاملة شغوفة،
طموحةً واثقة الخطى، رزينة.

مكتفية بما ملكت، كنومة من الصعب قراءة ما تخفيه روحها ويكاد يكون
مستحيلاً دون رضاها.

تستلقي هي وروحها ساكنةً وغارقةً بالتفكير كل ما يشغل بالها في تلك
الساعة المتباطئة كأنها أعوام هو دراستها التي كانت جل ما تفكر فيه،
الجامعة التي تحلم بها وتخشى أن يتم رفضها وعدم قبولها فيها.

تسترسل في هاتفها لما يظهر للعامة داعيةً قبولها في الجامعة التي تحلم بها،
ليرد عليها ببضع كلماتٍ متمنياً لها الخير والتوفيق.

لم تكن بالرسالة المهمة فقد كان مجرد غريبٍ كانت تتابع ما يكتب وما كان يراها سوى عابرةً ألقى عليها التحية وتمنى لها الخير ليكمل كلَّ منها مسيره فيسترسل لها بعد بضعة أيامٍ دون أي سببٍ يُذكر ليطمئن عليها ويعلم ما إن تم قبولها، ويكتفي بوضع كلماتٍ يتبادلانها ليعاودا الرحيل.

لم تكن سوى بضع رسائلٍ تبادلها على مرّ بضعة أيامٍ لم تحيل غير السلام، لم يجرؤ على سؤالها عن اسمها حتى، لتمرّ بعض الليالي يفضي كلٌّ منها للآخر عن صفاتٍ ما يُثقل داخل كلٍ منها وانتظار وداعها ليكتملا بلياليٍ أخرى.

كانت تلك الفتاة الغير مؤمنة بالحبِّ وأيِّ علاقةٍ قد تنشأ دون لقاءٍ حقيقي، وكان ذاك الحالم الذي لطالما حُلِلَ ومات ألف مرّة في حياته حتى فقد ثقته بكل من حوله ليكتفي بذاته ويؤمن أنّه سيلتقي وحيداً إلى الأبد.

كل ما كان يصرّ على فعله هو محاربة أي علاقةٍ جديدة قد يدخل بها فيزيد إيمانه بأن كل ما يحلم به ويقوم ببنائه سيكون له وحده ولن يخاطر بأن يُخذل من جديد.

مسكين.. لم يعلم بأنه سيفشل بهذا .

الخامس عشر من أيلول

هي نجمٌ في السما ينضوي
غزاةٌ كالمها وخذها ربحان
فتغرها مسكٌ ورمشها عنبري
فنفسها سُكَّرٌ وأنفاسها زُمان

أحبك ...!

استغرقه الأمر شهوراً لينسى كلَّ ما مرَّ به ويقع بحبِّ هذه الفتاة برغم كلِّ الحروب التي خاضها مع نفسه ليتجنب الوقوع بأيِّ علاقةٍ جديدةٍ في حياته. كلُّ الخوف الذي كان يملكه بات سلاماً بجوارها، يخاطب نفسه ويُصر طيفها ليخبره قائلاً:

من الصَّعب وصفك والحديث عن كلِّ ما جرى ببضعة سطورٍ وأبياتٍ فكلَّ الأبيدية ستكون عاجزةً أمام وصفك ولن تفيكِ حقك من الوصف أبداً.

في الحقيقة، لم تكن مجرد حروف. بل كانت أشبه بنعيم يسكن الروح فيحييها.

كنتِ قادرةً على انشالي من ذاتي وألمي وعمتي التي تحيط بي بكلِّ حرفٍ قمتِ بارتسامه.

كنتُ أتبعك باستمرار وأراقب خطواتك وتراقص أبجديتك ونغمها، لطلما ظننتُ أن اللحظة التي أنتصر فيها على نفسي لأعاود خطَّ أبياتي مع شخصٍ

آخر ويكون أنتِ لن تكون، أقرب منك أكثر اليوم ولطالما عاهدت نفسي
على فعل ذلك ما دمتُ معك وسأفعل.

بينما يجلسان صامتين دخلَ لأعماق روحه للحظةٍ ليترك لها حرّية الحديث
معها:

-أماي

= قلبي

بادليني الحرف وأبدلي كلّ ما بيدُ لي
املِكيني فأحيني واتركيني تائباً بمحضنك التّافي
احكمني ودعيني أسيراً بك.

بدأ يرثسم بحروفه ليبادلها البوح، لظالما كان علمه الخاص هم مأواه ومخرجه
من هذا العالم، والآن بات لكليهما. يصمت للحظات لتجيبه:

- يا من ملكت الفؤاد رفقا بجالي
قد كنت لي سلاماً ولا زلت سلامي
سلاماً تحيةً على الجميع إن لم تكن أنت جواري
الكل بهواه وأنا بهواك وقد صعب هوى داري

يعم الصمت للحظات وجنون الهوى يعصف بروحين تلاقنا ويحتويهما عناق
طويل لا ينتهي، لم تكن أعواماً ولا شهور ليقع الحبّ بهما، لظالما كان
يتلاعب بالكلمات ويرثسم كل ما يريد البوح به بأبياته، يتأمل كلماتها ويهدأ
لشوان ويجيبها:

- يا من ملكت الفؤاد رفقا بجالي
فأبدلي في القرب حالي إلى حال
أفيضي عليّ بعشق فاحتلالي

وكلّ ما في لكِ وللحبّ ما يُنالِ

..

أيا وطنًا آمنًا بتّ فيه

والأمن في الفؤاد يحكم ويداري

اقترب منّي ولي ولتجاري

خطوات قلبي عشقًا

وشاركي الفؤاد فرحاً فقراري

عشقٌ محمّمٌ أبدٌ بعينك

والحكم في سوءة العشق لا يداري

أيا كوكباً سلاماً في مجرّي

أيا شمساً طففت حولها في مداري

أيا حلماً لطالما كان يسكنني

وكلّ ما في الحلم يرسم إليك مساري

فتزين ليلتها بأطراف الحروف التي تبادلاها وتردّ عليه قائمةً بسطرٍ ويكمل
بأضعافها:

- أيا قرأ سهر معي كلّ الليالي

- ولم يابه لهونٍ في الفراق ولم يبالي

أنا ذات الكيان هائماً فيك

وأنتِ ذات الملاك في وما تنالي

ابتسم جنوناً كلما أراك

وغير أحر في عشقاً لا تنالي

أحاق لي فتحقّ آمالي؟

ضمتني إلى صدرك جنوناً ولا تبالي

فألقتني بين حضنك والفؤادِ في مجالي.

- أضْمَكِ بروحي إن لم تتلك يداي
وأصبر على قدر وأمض في خطاي
عسى يرتحم حالنا للوهاب
فهبنا اللقي في نهاية المسار.

- أيا نوراً لي وعيناي
أيا وجدي ووجودي ووجداني
حرفاً عزفته بعشق التائي
والعشق بيتٌ في مقامك الثاني
أيا وترأ لعودِ عزفته بجاني
أيا حلماً رسمته من كلّ الأمانى
إن كنتُ لا أراك فأني أراك
ولو لم ألقك فأني فيك ألقاني
لم يُلْقني الزمان في عراق
وإنما بجوف السلام ألقاني

ضم احوِ عِدْ وعُدْ من أحبك واحتراك
زد وسُدْ سدّ عشقي، أنتِ لي وأنا منكِ فلا أعاني.

يحيط بهما الصمّث للحظات، يشعر بدمع عيناها ينهمر كأنها تُمطر في
جوف فؤاده. فيقتل ألف مرّة مع كلّ دمعَةٍ تبكيها، يقترب منها أكثر فأكثر
ويكمل بارتسام أبجده..

أيا ليتني في الجوارِ أهيم بعيناكِ
كلّ ما همت بالبكاء قبّلتها بشفاهي
فإن ابتسمتِ استغللتُ فرحكِ
فقبّلتُ ثغركِ والعقلُ ساهي.

أخاف حزنكِ وكلّ سوء قد يصيبك، أنتِ بخيرِ روحي؟

- لا تخف أنا بخير، اذهب وارتح قليلاً.

يجيها طلباً.. - عاقيني.

فتحتضنه كطفلٍ صغيرٍ التجأ لحضن والدته ليكون آمناً به.

- لن نفترق أبداً وتيني، نحن لبعضنا فقط.

- لن نفترق..

منذ أول لحظةٍ سكنتِ روحي عاهدتُ نفسي ألا أكون لكِ غير السّلام.

- وأنا أثق بكِ وبعهدك، انتبه على نفسك...

ذهبتِ حتّى لقاءٍ آخرٍ فودّعته حتّى المساء.

لطالما كان يشعر بالضعف فكانت قوّته التي أحيت كل ما كان ميئاً فيه،
ذهبتِ للتوّ وما لبث حتى بدأ يشاق لها من جديد فيعود لذاته ويخاطب
نفسه، أين الذي كان يصرّ على البقاء وحيداً...؟ كانت هزيمةً سريعةً
ولكنها عظيمةٌ ومليئةٌ بالجمال، لم أحسب أنني سأكون سعيداً يوماً إن هُزمتُ
هكذا.

مضت بضعة ساعات حتى عادت مسترسلة:

- أيقنت اليوم أنك قدرتي...
بهذه اللحظة أيقنت أنك مكملتي...
أيا صاحبي أيا رفيق دربي...
ما العمل فقد أنك صبري...
قد تعب القلم من الكتابة...
وأرهقت الكلمات من الوصف...
غارت القصائد والأشعار الغزلية...
فقدت كل مناصب الغزل...
كل الطرق لا تقود لروما...
فطريقي إنما تقود فقط إليك...
تحملت بكائي ولحبيطة حديثي، استمعت...
لم تغضب وتيأس يوما من حيي...
فكيف أرحل عنك يا ملاذي...

كيف أرحل وأنت باقي في الفؤاد...

سلام انت يا إسلام...

أمان أنت وكل الحب...

وأعدك أني منذ اليوم...

سأبقى، سأعيش، فقط من أجلك...

يقف ساكناً أمام حروفها التي احتوته بكل ما فيه، وتمتلئ عيناه بدموع
ورغبة شديدة بعناقٍ يجمع أجساداً بدأت ترهقها المسافة، يرجو لقاءً فعناقاً
لا ينتهي أبداً.

- أميرتي ومُحتلتتي، حاكمتي وشعبي، قوتي وضعفي.

وكم من أرض ميته في داخلي أحيتها. أحبك

ولو قلتها في لبّ مسمعك ألف مرّة ما كفت لوصف حقيقة الحبّ الذي

يسكن داخلي فيحتويك

وعهداً على روعي ألا تهوى سواك ما دمتُ حياً ولن تحيد عن حبّك أبداً..

يستلقي ويسرح في عالمه الداخلي، لطالما كان يَمُرّه طيفها في غيابها ليحاول
سدّ الفراغ الذي يملكه حين يجلس وحيداً.

يتأمل السماء ويرتسمها فيها معه ومنزلها الذي لطالما كانا يجلمان به وتعاهدا
على أن يكون واقعاً يوماً ما، ما زال يذكر كلّ تفاصيله التي قاما ببنائها، بابه
الرئيسي المتصل بغرفة المعيشة ويتوسطها التلفاز وجدرانه التي تزيّنت بألوانٍ
فاتحة بدرجاتٍ مختلفة وتمتلئ باللوحات والطيور التي بأفئذها تطير مُغرّدة
فتعيد المكان للحياة، وفي نهاية الصالة فاصلٌ صغير لتفصلها عن المطبخ
ونوافذه التي تحمل على أطرافها نباتاتٍ تزيد جماله.

ثم الغرفة الأولى لها التي فيها مكتبين للعمل والكتابة ومكتبة عظيمة بمساحة
جدرانها الممتلئة بالكتب والروايات والتي تحمل قسمًا خاصًا يحتوي
مؤلفاتها وصفحاتٍ مُلئت بحروفٍ ارتساها معاً.

والحديقة الأمامية المليئة بالزهور التي تزيّنها كأنها جنة الأرض.

لطالما كان مهورسًا وعاشقًا لكلّ التفاصيل التي تشاركها وارتساها معاً
ويقدّسها..، لطالما كان يقدّس التفاصيل الصغيرة، الذكريات الجميلة، الوعود
والأحلام والحب.

لطالما خسر معاركاً فعاد وبدأ من جديد، يقترب من خيالها الذي يرتسمه
في عالمه يداعب خصلات شعرها وعيناه مليئة بالحبّ فيخطبها قائلاً يامن
أقمت شتاتٍ روحي وارتسمتُ ما سيكون في عَدي.

حتى أحلامي التي أقدّسها كنت أراني بها وحدي حتى التقيتُك فبتّ
تحكين بكلّ تفاصيلها حتى شعرتُ أن لا أهمية لها إن لم تشاركيني إياها،
عميت عن الخلق أجمع كأن لم يُخلق سواك، أحبك..

الثاني والعشرين من آب

أَكُونُ لَكَ السَّلَامُ وَأَنْتِ لِي السَّلَام

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَا بَيْنَنَا بِسَّلَامٍ.

كان يوماً صعباً عليه مرّ بكلّ مُر، أن يختلط الحطام بداخله في انشغال
فكره في دراسته وعمله ومشاكل حياته.

يسير في منتصف الليل وحيداً، طرقّ فارغة وهادئة، نسيم هواءٍ يلفحه
ليتكفّف محاولاً أن يُدْفِئ نفسه، كيف لاختلاف الأثر أن يكون بين داخله
الذي يشتعل وخارجه الذي يموت برداً، قلبٌ صامت وعقلٌ يصرخُ بألف
فكرة، جوفٌ ساكن وروحٌ تصبح مدمعة.

لم يكونا سوى عابرين في طريقٍ بعضهما البعض، لم يعرف اسمها حتى، مجرد
فتاة مرّت من أمامه عدّة مرات وتمتّى لها الخير، لم يُخض في حديثٍ معمقٍ
معها إلاّ للحظاتٍ قليلة ولم تكن تُذكر،

ترده رسالةً منها تقاطع صمته وحبل أفكاره ...

- كيان، أنت تحب تلك الفتاة وما زلتَ تنتظرها أليس كذلك؟ أخبرني
الحقيقة! أنت لم تنسها ولن يكون ذلك بسهولة كما أنّك تكتب عنها كتاباً
ومن الممكن أن تعود لك في أي وقت؟

يقرأ رسالتها الغير متوقّعة ويهدأ للحظات، يقف صامتاً أمامها عاجزاً عن
الفهم والزّد.

- لم لا تُجيب؟

أعتذر لم أقصد إزعاجك، سأذهب.

توقفي، دعينا نتحدّث في وقتٍ لاحق لا يمكنني الحديث معك الآن.

- انس الأمر، أريد النوم، آسفة على إزعاجك.

لا تأسفي، أرجوك اهدئي ودعينا نتحدّث غداً.

- لماذا تُحاول اسكاتي والتخلّص منّي؟

إنسى الأمر، من أنا لأتدخّل بك حتّى، وداعاً.

رحلتُ وبقي صامتاً أمام ما جرى ذهب لمنزلِ أحدِ أقاربه ولم يتمكّن من النوم ليلتها.

ظلّ غارقاً بالتفكير بها. ماذا لو صحّ ما يفكر فيه وأحبته!!

يخشى أن يكون كذلك فلا يبادلها ولا يكون سلاماً لها، لن يحتمل أن يكون سبباً بجرحها أبداً،

هي مجرد غريبة لم يرها سوى منذ بضعة أيام ولم يكن بذلك الحديث الكثير الذي قد دار بينها بضع كلماتٍ بألف حكاية.

غرقت روحه بالتفكير خوفاً، أما بالنسبة لتلك الراحلة التي قامت بسؤاله عنها، فقد بدأت تتلاشى من داخله كما تلاشت من واقعه ورحلت عنه باختيارها.

كلّ ما كان يرتسمه بذاته أنّه سيكمل لوحده هذه المرّة لا يريد أن يكون بعلاقةٍ أخرى من جديد، اكتفى.

هو يكتفي ألماً وإيلاماً، ويكتفي بعلاقاته التي تقتصر مع الآخرين على العمل والكتابة لن يكون علاقات خارج هذه الحدود. أو ربّما هكذا كان يُريد فقط

!

الثالث والعشرين من آب

سأُحدِثُ لك من الذِّكر ما في جُعبتي..

فأمّا بسحري فسلامٌ قد احتواني
وطناً أمنتُ فيه حينما الكون قد ارتماني
غموضي بأبجدٍ بروحي والنوى
أسرقتُ من الحرفِ كسراً وأضمتُ به الجاني

فقل لي ماذا ترتتي بي، وبم فؤادك الليلة قد أتاني.؟

تركها حتى المساء، فلا يخاطبها بشيء لتهدأ بعد حديث الأمس.

غابت شمس اليوم، فاسترسل اليها رجياً السلام بينهما:

كيف حالك، أنتِ بخير؟

هل لي ببعض الوقت؟

تلقت رسالته لثمن النظر فيها وتصمت للحظات قليلة، تأخرت بالرد، ثم

أجابته بهدوء، وتصنعت البرود:

- بخير حال، وأنت؟

بخير ما دمت بخير ...

بدأ بالحديث معها، ويحكي لها ما بداخله

يروح بكل ما امتلك من كلمات تخنقه وحبيسة صدره حتى علمت كل ما

كان في ماضيه وحاضره وما يريد لغيره فيكمل ...

لم أرد أن أخفي عنك من الأمر شيء فلا أجعلك تشعرين بالخذلان تجاهي

يوماً ما.

كلّ ما أردته هو أن تكوني على علم بكل ما يخصني فلا أظلمك ولا
تظلمين نفسك في اختيارك.

ساد الصمتُ بينهما للحظاتٍ ويرتقب أن تودّعه راحةً مُتخليةً عنه وعن
مشاعرها التي بدأت تنشأ تجاهه، يشعر بثقل الوقت والدقائق يرى ثابتاً
وداخله مُهتزٌ يتمسك بالبرود الذي فقد الكثير للوصول إليه، لاطلما هان
عليه كسر روحه وذاته التي كان يكتفي بمداواتها بنفسه ولم يمن عليه ألم أي
روح بسببه، كيف يهنا الإنسان وفي ذمته قلبٌ محطّم؟

تقاطع حبل أفكاره التي بدأت تلتف حول عنقه لتخنقه فتبوح ليقف صامتاً
أمام حروفها وتكمل حديثها..

أحبك ... لم أشعر بما شعرتُ به معك من قبلُ أبداً، لا يهمني ما كان
بماضيك وما تتمرّ به الآن، يكفيني أنّك كنت صادقاً معي ولم تخفي عني أي
شيء فقط أريدك أن تعلم بأنني سأبقى بجانبك ولو لم تبادلني الحب أبداً،
فكما هو الحال بأنك أوّل حبٍ يسكنني ستكون الأخير ولو رحلت عني
سأسأحك وأتمنى لك الخير دوماً ولكنني سأظلّ على حبك.

ولو بادلتني إياه يوماً أعدك أنني لن أكون لك غير السلام وسأفعل كل ما
بوسعي لأنسيك كل ما قد مررت به من قبل.

خذ ما تشاء من الوقت عاماً، وعامين، وعشرة أعوامٍ لا يهم، سأكون معك
وسنداً لك وسأشاركك أحلامك ولن أكون عائقاً أمامها أبداً، سأبقى بجانبك
وأحبك دوماً.

يفشلُ بجبس دموعه أكثر من ذلك حتى بدأت تفيض، كل ما كان يسكنه
هو إعصارٌ أفكارٍ مختلفة، يخشى إيدائها يوماً ما أو أن ترحل عنه كغيرها
من قبل، ولكنها لبث حتى تبدل كل الخوف الذي بداخله بسلامٍ يحتضن
روحه ويحتويه.

أهكذا هو عطاء الله لي بعد كل الليالي التي سهرتُ داعياً بها، أن يهديني
السلام والقوة، بمن وُلدت روعي معه من جديد؟

يعجز عن جمع حروفه وكلماته فيعاهدها ألا يكون لها غير السلام وودّعها
محاولاً النوم ليبقى مستلقياً في سريره يحدث نفسه بعالمه الخاص ويجلس
فيه محاطاً بكل التفاصيل التي تحمل رسائلها في ذاكرته.

اعتاد على الهروب من عالمه الخارجي إلى عالمه الداخلي، حيث يقيم قوانينه
وذاته وقواعده ومبادئه، يرمم كل حطامه ويللم شتاته في عالمه حيث
يرتسم وطنه وكوكبه الخاص فيبقى به بسلام.

حيث يحدث ألف روح وكيانٍ بداخله ليصل لكل علمٍ يبتغيه، ويقرأ ألف
كتابٍ خطها بذاته لتكون دواوين وسطور لطالما عاهد فسه على نشرها
وأتباعها فيسبُل السلام.

يصل لأعماق روحه ليجمع بذاته وكيانه

سأعترف، بدأت أشعر بتحطم الفكرة التي ظننتني سأكون في وحيداً دوماً،
رغم حيرتي وضياعي بكل الأفكار التي تسكنني، اسأل ذاتي ما الذي من
الممكن أن يجعل أي فتاة تقع بحب من لديه الكثير من الأحلام وهناك
ألف أرض تحول بينها وزمان لا يعلم ما يخفي لنا فيه سوى الله.

جلّ ما أشعر به هذه اللحظة أنّ بداخلي روحاً قد أحيتها من جديد، روح
لطالما فقدت رغبته من حولها مؤمنة بأنه ستبقى وحيدة لا كنه لها
لتستند عليه ولا حضن ليؤويها،

يا رب ...

الثامن عشر من أيلول

اراكِ كما كانت خديجة للرسول
سنداً ولو كل من حولي يُعادي
سُكنائكِ فيّ والروح تؤول
لفرح فيك ارتساماً يناديني
سبحان من خلق الجمال فيك فذهول
ففتصكِ كاملٌ وأنتِ الكمالُ لي وفيني
كلّما نويت الصمت كل الحروف تقول
قولَ السّلام فيكِ فأسلميني

لا اكتفاء منكِ بل اكتفيثُ بكِ عن الخلقِ أجمع..

- لا أريد أن أسقط في الهاوية، لا أملك الشجاعة لكي أخوض معركة
أخرى..

قد خسرت نفسي أعوامًا، وظللتُ أبحث عنها أعوامًا أخرى، وكان عمري
بين الخسارة والبحث يمضي ولن يعود..

أعترفُ أنني متناقضة، لستُ مثالية، ارتكب الأخطاء وعيوب كثيرة،
لكنني مع كل هذا أحوال تغييرها.

أن أثبت أي شيء لأي أحد، لن أقول ما يجول بداخلي سأكتفي
بالصمت..

وإن تعبت من الصمت سأداوي نفسي وأطبطب على كفتي وأقول: كل ما
كان بالأمس مرًا، سيطيب وأمضي،

يقف صامتاً أمام حروفها، يُطيل النظر إليها متأملاً فاقداً رغبته بكلّ شيء
سوى العناق.

يريد عناقاً ينجّص كلّ المشاعر والكلمات العالقة بداخله، كلّ الحروف
المبعثرة والعاجزة عن التجمّع والأبيات الصامتة التي تهجو الكثير ممّا يفصل
بينهما.

كم يحلمّ بقاءً يجمع بهما بعد كلّ الشوق والليالي التي مرّت ساهراً يحدث
صورها ويحتضنها حتى ينام مرهقاً ومرغماً بعد أن أثقل السهر على جفنيه،
فيتمّ طيفها في المنام مرتسماً إليها في حلمه.

لطالما كان يصفها بالملاك ويشكّ بأن تكون بشراً من جنس حواء حتى باح
لها يوماً:

آمنت بمن خلق حُسنك

أيا أحسن الخلق إحساناً

لست من جنسنا فإنك

ملاك تشكّل بهيئة إنساناً.

الخامس من كانون الأول..

أراها ولو لم أراها
كهرين ذاتٍ في أهواها
أبات العشق ذنباً؟
وقد متّ مذنباً في هواها
فأذن في السما طيرُ حبٍ
فصاح قلبٌ للقيها
أيا وطناً من بعدها غريتي
وما أكون أنا ان بتّ سواها
هي مّي ولي وفي طفلي
وكيف لصغيرتي فلا أرها
هي كوكبٌ ساحٌ ومجرتي
وجرمٌ سماويّ بعيناها

والجّرم في الفراق ومقتلي

شوقاً بات قلباً احتراها

ممي أنتِ بخير...؟

اختفت فجأة ولم تعد تردّ على رسائله، يشعر بالخوف عليها والإرهاق بدأ
يتكوّن بداخله.

تتلاّأ عيناه منتظرةً أي حرفٍ تنطق به لتريح روحه من خوفها، منذُ مدّة
علمت عائلتها بما بينها فأبعدوها عنه، ماذا لو اكتشفوا عودة الحديث بينها!
قلقٌ عليها وألف فكرةً في داخله تتسابق في اختناقه حتى قاطعت صمته
واحتراقه رسالةً من هاتفها من قبل أختها:

- لا تعدّ لمراسلتها، ولا تفكّر بالاقتراب منها مجددًا إن كنت تخاف عليها
وتحبّها حقًا، ابتعد حتى لا تخسر حياتها ودراستها.

يعود لصمته وعجزه عن الحديث والردّ، يفقد قدرته على التفكير، ترتجف
يداه وتبرد أطرافه يحاول الردّ عليها بأيّ شيء مع يقينه بأنّها لن تصدّقه مهما
قال، كان يعلم منذ البداية أنّه سيخوض حربه لوحده لن يكون له سندٌ
من طرف العائلة وسيواجه الكثير ليصل لها، يحاول الاتصال عليها لتجيب
أختها وصوتها في الطرف الآخر بأكيّة يقفّ عاجزًا فتخور قواه..

أهي بخير؟ أرجوك لا تؤذيها.

سأفعل ما تريدون ولن نتحدّث من جديد ولكن انتبهى عليها أرجوك فقط
أريدها أن تكون بخير.

تجادله وتهدّده بها، وكلّ ما كان يشغل تفكيره هي ملاكه وطفلته التي كان
يرى أنها تبكي بسببه، وكلّ اللوم كان يضعه على نفسه تفرق الكلمات في
داخله حتّى أغلقت سماعة الهاتف وذهبت.

-وعدت نفسي ألف مرة بالاهتمام بها وإسعادها واليوم أبكيتها.

تتصلّب روحه وتتجمّد في مكانها ليعود لوقعة الصمت التي لطالما كان
محتجّزًا بداخلها لسنين طويلة، واليوم يعود لها ليكمل حياته وأحلامه التي
ارتسمها معها ويحلم الأمل برجعها يومًا ما.

الخامس والعشرين من تمّوز

عُدِّ عِدِّ احِي سُدِّ سَدِّ فُوَادِي صِلِي

حُلِّ اَعْلُ بِي اسْمُو وَدِّ سَلِي

ضَمِّ اِحُو كِيَانِي بِكَ وَاِحْتَضِنِ

كَفِّ بَعْدِ مُرِّ اقْرَبْ لِي وَيِي نَلِي

- أَيْنِكَ لَا أَرْغَبُ بِالْإِبْتِعَادِ مِنْ جَدِيدٍ وَلَكِنِّي مُجْبِرٌ عَلَى ذَلِكَ..

جُننت بك ... وبينما أَلِفُ فِكْرَةَ تَجُولِ فِي رَأْسِي، أَرَانِي أَتَخَبَّطُ لَا قُدْرَةَ لِي عَلَى اتِّخَاذِ الْقَرَارِ بِالْبَدءِ مِنْ بَعْدِكَ، وَلَمْ يَعدْ هُنَاكَ مَجَالٌ لِلتَّرَاجُعِ فَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى الْأَمْرِ وَقَدْ عَاهَدْتُ نَفْسِي أَلَّا أَتَخَلَّى عَنْكَ أَبَدًا، تَعَاهَدْنَا وَلَمْ تَكُنْ عَهودَنَا عَابِرَةً، وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الظُّرُوفَ الَّتِي مَرَرْنَا بِهَا تَقْسُوا عَلَيْنَا وَتَقْتُلُنَا وَهِيَ الَّتِي أَوْصَلْتَنَا لِهُنَا، أَعْلَمُ بِأَنْتِي مَا زِلْتُ بِدَاخِلِكَ وَلَمْ تَتَخَلَّ عَنِّي.

باتّ الأمر مختلفًا بالنسبة له، هو مؤمنٌ بأنّ هذه المرّة مختلفة ويعلمُ بأنّ كل ما حوله وداخله يأخذه إليها، رُغم الحطام الذي ينتشر بداخله وضعفه إلاّ أنّه لا يميل فقد استقام بها ولها، وسيتقى.
هي بضغّ سنينٍ لرتبنا وملتقيان إن أذن الله بأمره،

لا نعلمُ إن كان هذا الكتاب سيستمر بجزئه القادم أم أنّه سيقفّ لهنّا فقط، كل ما بات يفكر فيه هذا الكيان ويشغلُ باله هي فقط، لا يُريد سواها.
سيكتفي بذكرها وصورها والحروف الي يكتبها لطيفها حتّى يلتقي بها، وليكن حبّها ظاهرًا يخلده التاريخ أبد الدهر.

أنسينا السِّلْم أم أن الرِّمان أنسانا..!
وكم من وكم يكُم فينا
وكان فينا صحخرا وليس قلبنا لإنسانا
أكان الموتُ في الحياة يأتينا
واستنادٌ من بعد موتنا فأحيانا
فما كان رغد العيش يُغنينا
ولا طُعماً لإسكاتنا كان مبتغانا
أرى الثور بازغٌ في المدى ويعميننا
فوجج من الحاسدين وكل من عادانا
وإن هُدمت جدراننا وارتمينا
ألمأ، وقفنا وأقمنا بدلاً بألف بنينا
وإن رأيت مبسمك عابساً حزينا
فإن مبسمي لفاهك كان عوضاً كما كان